كان ذلك يوم الجمعة

عزيز- محمد صكر

باسم عبد الحميد حمودي

رحلا في يوم واحد، هكذا شاء القدر، الفنان الكبير عزيز عبد الصاحب والفنان الاكاديمي محمد صكر المدرس في جامعة الكوفة.. رحلا يوم الجمعة الرابع والعشرين من اب الجاري.

عبد الصاحب (٦٩ عاماً) هو رجل الفرقة القومية واستاذ مسرح وكاتب مسرحي واذاعي ورجل ذوق واخلاق وثقافة، كان توهجه الاول في مدينته الناصرية التي انجبت الكثير ومن المسرح المدرسي الى معهد الفنون في بغداد حيث تألق بعد ان درس المسرح وجدانا وثقافة وفهمه فهما عقلياً، بمعنى انه لم يكن (مؤديا) لنص وفق توجيه مخرج يحظى ويصيب، بل كان يتشبع بالنص ويعيشه ويدركه قبل ان يجسده لذا كان فناناً محترما من الاجيال كافة اما محمد صكر فقد انهى دراسته في كلية الفنون الجميلة وهو ابن الاذاعة مخرجاً وممثلاً وعندما اكمل دراسة الماجستير فضل البقاء في الاذاعة لحبه الدائم لعمله كمخرج درامي اذاعي مشتهراً بادائه المسرحي الرفيع على الخشبة التي كانت وعندما احس ان العمل الاكاديمي يؤمن له الامان اولاً وحرية التصرف ثانياً نقل خدماته الى جامعة الكوفة مدرساً للفنون المسرحية منذ فترة وجيزة لكن القلب (المجلوط) سبب توقفه في اداء رسالته الجامعية الجديدة.

لم يكن عزيز عبد الصاحب ممثلاً وكاتباً مسرحياً فقط بل كان شاعراً وانساناً يتمتع بفكر حي قادر على الفرز وتعيين الشواخص سلباً وايجاباً، وكان بخلقه الرفيع قادراً على لملمة أي تشنج داخل (الكروبات) المسرحية التي عمل معها.

وكان عزيز عبد الصاحب ذواقة لحن يهوى الاداء الغنائي ويحسنه وخصوصاً اذا انطلق في لحن جنوبي اصيل فهو ابن الناصرية وهو ايضاً ابن بغداد وسماحتها ومقاماتها، وهو المعبر عن روح الثقافة العراقية واخلاقياتها المتسامحة التي فهمت الحياة انها تراكم معرفي وخبرات تضاف الى خبرات وقد شكل رحيله الحزين جرحاً عميقاً في جسد المسرح العراقي المتألم لانكفائه وشد يديه وابتعاده عن مشاهديه لكن عزيزاً يظل علامة بارزة في تاريخ المسرح العراقي الحديث مثلما يظل منجز الراحل محمد صكر منجزاً جديداً بالتقدير.

عزيز عبد الصاحب..اشهد انك قد عشت

لو قبض لعزيز عبد الصاحب ان يمثل اخر دور مسرحي في حياته..لاختار ان يؤدي شخصية بطل رواية جورج امادو (كانكان العوام) تلك الشخصية التي عادت من الموت لتنظر الى ما ستؤول اليه الحياة. سيبطلب عزيز ليلة واحدة مؤجلة وفيها سيجد مفاجاة من العيار الثقيل بانتظاره.. فها هي الدولة ممثلة باعلى سلطة تعترف بان الرجل الذي مات ليلا في فراشه كان واحدا من ابرز رواد المسرح في العراق لذا توجب عليها الدولة ان تقدم العزاء للجميع بهذا المصاب الجلل.

علي حسين

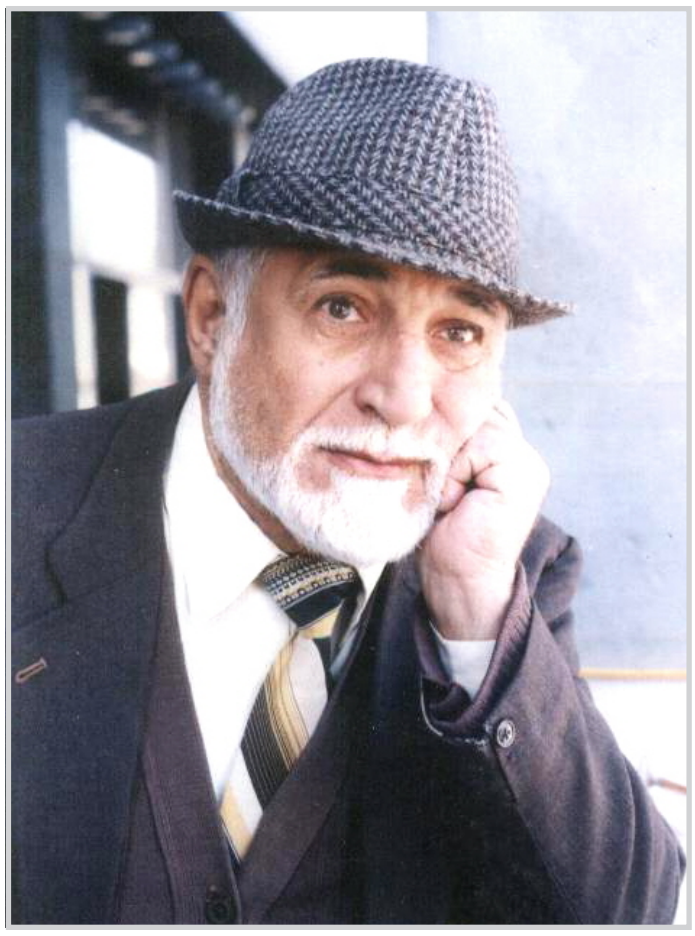

عزيز عبد الصاحب

سيضحك (العوام بن عبد الصاحب) بملء فمه ويضرب كفا بكف.. ايعقل ان تجري الامور على هذه الشاكلة وينتبه الجميع الى ميت كان قبل ايام مريض ومعوز يزحف ببطأ مثل سلحفاة متعبة وراء احدى باصات النقل ليقضي واجبا في المسرح الوطني - مشاهدة عرض مسرحي او المشاركة في نشاط فني او التلصلص على الشعراء والادباء في زاوية منسية من زوايا اتحاد الادباء- ليعود بعدها ينتظر باصا اخر تقوده لبيته وهو يتحسس خفية جيب سترته مطمئنا على الدنانير القليلة المتبقية وهي كل مايملك من حطام هذه الدنيا بعد ان اضطرته ظروف الحياة القاسية الى ان يبيع مكتبته الكبيرة..كتابا بعد كتاب حاملا بدلامن هذه الكتب خرجا يملئه بما متوفرفي سوق الخضار.جنبا الى جنب مع قصائد ومشاريع واحلام مؤجلة.. سيجلس (كانكان العراقي) في الباص لاخر مرة ينظر الى شوارع مدينته الاثيرة بغداد وحال لسانه يقول: اليوم يا مدينتي يلفك الضباب وتحضنين الليل والذئاب

❖❖❖

ينتمي عزيز عبد الصاحب الى جيل من الفنانين الذين امنوا بان الفن جزء من الحياة وان الحياة ماهي الا مسرح كبير يعيش فيه الجميع ادوارهم بشكل كامل..الم يقل المعلم ستانسلافسكي (ان المسرح هو شكل محدد لعكس الحياة واحداثها فنيا) هذا المسرح الذي كان رفيقا لعمر عزيز وقرينا لروحه وتواما لفكره ومعتقداته والحلم السعيد بالنسبة اليه وقد اورثه حب المسرح هذا عدم الانسجام مع الظروف ونهما لايفقد عنفوانه للبقاء جامحا متوترا حر العقل والجسد والمصير.اورثه نظرة متفائلة للحياة وعشقا للحرية..وما يثير الانتباه في تجربة عبد الصاحب هو ذلك الارتباط الوثيق بين سيرته الذاتية من حيث هي حياة خاصة وتجربته الفنية والثقافية باعتبارها تجربة تنتمي لحقل ابداعي له ضوابطه وقوانينه العامة. ومن هنا استحالة فصل اعماله الفنية عن حياته.فقد كانت هذه الاعمال وان اتخذت أشكالاً مختلفة (نصوص مسرحية، مقالات نقدية، ادوار تمثيلية،قصائد) اكثر من تعبير عن افكار ومفاهيم.انها يومياته وتفاصيل هذه اليوميات..بهذا المعنى يمكن ان نقول ان عزيز عبد الصاحب كان ابن اللحظة المعاشة، افكاره ومشاريعه تنفجر من هذه اللحظة تماما كما ينفجر الدم من الشرايين..الفن وعالمه السحري اتخذ عند عزيز حركة الحريق في غابة عظيمة وبالتالي هو الانفجار الذي يكسر كل انتظام. هو شيء من الحياة المتمردة على الاطر الاجتماعية السائدة والقوانين القسرية..الحياة كانت عنده تتجدد حركتها بالممارسة اليومية للفن وطقوسه وهي حياة خليط من صعلكة ويأس ولذة ومتعة وقلق وانسجام عال مع النفس..

استقبل عزيز حياة بغداد في منتصف الستينيات متسلحا بعاملين لعبا دورا مهما وهائلا في بنائه الابداعي والحياتي اولهما استاذه حقي الشبلي وثانيهما ابن مدينته المفكر عزيز السيد جاسم وليس هناك أي تناقض بين المرجعيتين بل ان هناك توافقا وربما تطابق بينهما فكلاهما من الباحثين المعنيين بشخصية العراق..المعلم المسرحي الرائد الذي يحمل داخله كل خصال اهل بغداد وطيبتهم مضافا اليها بناؤه الفكري وحسه الفني.. والكاتب السياسي الذي صفى في كتاباته روح الوطن وكان منذ اول حرف كتبه شديد الاقتراب من مزاج الناس وتكوينهم. وكان عزيز عبد الصاحب يدرك ان همه الحقيقي هو الألتصاق بشخصية الفرد العراقي وان يؤسس هو وجيله مسرحا ملتزما بقضايا الناس وهمومهم.لذلك كان يؤمن بان على الممثل وفنان المسرح ان يتسلح بالثقافة والصدق في ان واحد فالموهبة وحدها لاتصنع فنانا ويكتب في دفتر مذكراته الصغير:(على الممثل حين ياتي الى المسرح ان يكون صافي الذهن تماما مستبشرا باستقبال عرسه.فالليلة ليلته وعليه ان يسلح نفسه بالقراءة فهي زاده في هذا الطريق وعليه ان يختلي مع دوره خلوة المتصوفين المنصرفين بالتوجه الى الله.ستقولون هذه من البديهيات اليس الصدق بديهية.وكلنا يعرف ضرورته ولكنني اتسائل هل نستطيع ان نحافظ على ديمومة صدق الاداء من على المسرح او في الحياة بشكل عام)

❖❖❖

عالم عزيز عبد الصاحب سواء في مسرحياته او مقالاته او يومياته انما هو بناء ادبي فني شديد الدقة ومغرق في الخيال ايضا.لاتعارض بين دقة الواقع وفوضى الحلم. وفي مسرحياته دعوة كي نعود الى الاصل والجذور وهي ليست دعوة الى التقهقر الى الماضي ولكن التقدم نحو الحاضر،نحو هنا والان بهذا الزمان والمكان عبر جذور الام واللذة..وكنت كلما أقرأ عملا مسرحيا لعزيز او قصيدة جديدة تدهشني حالة التوهج والجرأة المطلة بين السطور والسبب ليس فقط انه يمس بكتاباته تناقضات الحياة الصارخة ولكن لانه كاتب يعيش مايكتب ويكتب مايعيش.ان حياته هي اجمل واروع وابدع مؤلف كتبه.التحام الفن بالحياة العامة هو ما اعطى مسرحيات عزيز نكهتها الفريدة المفعمة بجرأة العقل والقلب دونما انفصال وهو الكاتب المتورط فيما يكتبه تورطا حياتيا عضويا لذلك هو يتحمس ويدافع عن مسرحياته واراءه النقدية وهو بذلك لايسعى لحماية نصوصه او افكاره انما يدافع عن كل حياته بوحدة غير قابلة للتجزئة..فالافكار بمسرحيات عزيز حيوات تعاش.الفكرة كائن حي صعب المراس لاتمنح اسرارها الثرية الا عبر عناق دائم متجدد وهو الكاتب والانسان والممثل الذي رفض القهر على المستوى الشخصي والعام وكانت حياته صراعا لايهدأ لفك سلاسل القيود بجميع اشكالها وقد كان يؤمن بان حرية الانسان لاتزدهر الا بازدهار حريات الاخرين..وليس غريبا ان نجد ان اشهر مسرحياته تحمل عناوين لرجال عشقوا الناس والحياة (ابن ماجد،بشر الحافي، السهروردي) وهو في هذه المسرحيات لم يكن يسعى الى استنساخ ابداعي وفني لشخوص من الماضي او لفلاسفة الصوفية ربما لان فكرة الحقيقة الازلية كاملة في اعماق النفس وان كل هم المتصوف ان يتامل ذاته كي ينقذ الحقيقة الكبرى عوضا عن فكرة صوفية اخرى تقوم على السمو مرتبة مرتبة حتى الوصول الى العشق لله بعبارة اخرى فان عزيز بين نهجين متقابلين في فلسفة الصوفية منحازة لفكرة اساسية قوامها الاعتراف بالنفس كونها طريقة للحقيقة الكبرى

❖❖❖

ويكتب عزيز عبد الصاحب:-(حبوا الفن لانفسكم ولكن لاتحبوا انفسكم من خلال الفن والفنان الذي يستخدم الفن لاغراضه الشخصيه ونزواته العابرة هو فنان اناني مغرق بالنرجسية ولايتجاوز نفسه وبالتالي ينتهي كفنان) هذا هو شرط الدخول الى عالم الفن الذي وضعه عزيز عبد الصاحب لنفسه وسار عليه وهو شرط ان يؤثر الفن بالفنان وان يكون له صدى بمستقبله فالفن الذي يعجز عن تغيير الفنان لحياته يعجز حتما عن تغيير الاخرين والتاثير في حياته.

قطوف من مناهل الأدب الرافديني

فؤاد يوسف قزانجي

باحث في التراث

كان العبيديون وغيرهم من تل حلف وجمرة نصر من سكان العراق القديم قد أسسوا قرى زراعية انتشرت على طول نهر الفرات بين ٦٠٠٠-٤٠٠٠ قبل الميلاد. وهؤلاء العبيديون كانوا على الأرجح من الأقوام السامية. وأطلق عليهم الفراتيون أحياناً. وعندما جاء السومريون الى بلاد الرافدين سواء أكان موطنهم الأصلي ملوخا أو ما كان، أو منطقة تقع وراء جبال زاكروس أو خلف هضبة الأناضول قرب البحر الأسود، فقد استقروا في جنوب العراق في جنة عدن حيث يتفرع نهرا دجلة والفرات بجداولهما المتعددة بالإضافة الى ما كان يخلفه فيضانهما السنوي من اهوار ومستنقعات حيث تزدهر الزراعة حولهما. وقد عمل السومريون بدأب ونشاط، فأقاموا المدن لأول مرة وعرفوا الفأس والعربة منذ عام ٣٠٠٠ ق. م وبنوا المعابد ودور الرقم (المكتبات) بعد أن اخترعوا الكتابة المسمارية التي أوصلتهم الى أسباب أول حضارة إنسانية. وقد أنتجوا أدباً رائعاً على الرغم من أنهم كانوا في بداية مسيرة الحضارة الإنسانية، ودونوا أدبهم ومعارفهم على الرقم الطينية التي صنعوها من الطين النظيف المتوفر على شواطئ الجداول والأنهار يذكر العلامة صاموئيل كريمر أن أول حاكم سومري قدر لأخباره أن تجد سبيلها الى التدوين كانت حول الملك ايتانا حاكم لكش وذلك في مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد، وخلف لنا فيما بعد أسطورة ايتانا. أما مدينة أوروك فقد خلفت لنا تراثاً خالداً من الأساطير والميثولوجيا بفضل شهرة ملكها كلكامش الذي كانت إعماله ومغامراته حديث الأجيال المتعاقبة. ويرى العلامة الراحل سامي سعيد الأحمد: أن أهم القطع الأدبية هي التي تعود الى التراث السومري: " كلكامش وأنكيدو والعالم السفلي، ميلاد القمر ايتانا، ورحلة ايتانا الى اريدو، وبابل الألسن، وحكاية اميش واينتين وزواج مارتو وخلق الإنسان، وموت كلكامش وخلق الفأس ورواية الطوفان "وسنختار منها القطع الأدبية التي لم تنشر أو التي لا يعرفها القراء:

١- بابل الألسن: وهو نص يصف وقتاً أستتب فيه السلام ويفسر هذا السلام على النحو التالي: (في وقت مضى، لم يكن هناك أفعى ولا عقرب ولا ضبع ولا أسد ولا كلب مسعور ولا ذئب، ولا خوف ولا رهب ولا منافس للإنسان. وفي هذه الأيام الهادئة كانت بلاد شوبور وخمازي وسومر متجانسة الألسن في امتداد البلاد العظيمة: بلاد ارارات وأور عندها ما هو ملائم، وعمور وفي سلام وكذلك كل العالم، وبالنسبة للرب انليل لسان واحد. وأدا هو السيد وهو الأمير مهد الملك. (أدا السيد وأدا الأمير وأدا الملك). وهذه القطعة الأدبية تشير الى الفكرة التي جاءت بها التوراة، ويبدو أن الألسن تغيرت بعد ذلك. كما تجعلنا نتساءل عن معرفة السومريين بلاد ارارات هل كانت مصادفة أم هي حنين الى موطنهم الأصلي؟

٢- حكاية اميش واينتين: تشبه هذه الحكاية الى حد ما قصة الأخوة قابيل وهابيل المذكورين في التوراة، إلا أنها لا تنتهي بقتل أحدهما للآخر كما هو الحال في التوراة. فقد صمم انليل أن يجلب الوفرة والخير للبلاد لذلك خلق الأخوين أميش واينتين، فأميش هو الراعي واينتين هو الفلاح. وأعطى لكل منهما واجباتهما. فجعل اينتين النعجة تولد الحمل والبقرة تلد العجل وتنتج الكثير من الزبدة والحليب. وأبهج قلب المعزى والماشية والحمار، ووضع الأعشاش لطيور السماء في الأرض، وجعل سمك البحر يلقي بيضة في الأهوار. وجعل في بساتين النخيل والعنب (الكرم) تنتج العسل الوافر والخمر الكثير. أما أميش فقد خلق له الأشجار والحقول وأكثر منتجات حقوله، حيث تؤخذ ثمراتها ومحاصيلها الى البيوت أو لتحفظ في المخازن. لكنهما بعد أن شبعا وتملكا، نشب القتال بين الأخوين وبعد أن طال الصراع بينهما، صمما على السفر الى المدينة المقدسة نيبور لعرض خلافاتهما على الاله العظيم انليل أبو الإلهة . وقد حكم الاله الكبير انليل لصالح اينتين الفلاح. فسجد أميش لأخيه معتذراً ومعتزاً بحكم الأب انليل وقدم لأخيه تمراً وخمراً وذهباً، ثم شربا الخمر سوية نخب إخوتهما وصداقتهما. وكان التقليد اليهودي في التوراة أكثر عنفاً في رواية هابيل وقابيل حينما قام قايين (قابيل) بقتل أخيه هابيل راعي الغنم وهما في الحقل (ت ٤ / ٨)

٣- رواية خلق الفأس التي تبدأ بمقطع عما يعتقده السومريون بكيفية خلق الكون وتنظيم العالم. وتجعل القصة من الاله انليل خالقاً للنهار تخلصاً من الظلمة ثم يخلق الاله الأعظم الفأس للإنسان، وهي أداة مهمة في حياة الإنسان ونشاطه. ويصف الشاعر الفأس التي خلقها انليل بأنها ذهبية ذات رأس من اللازورد ثم يعدد فوائدها للإنسان، فا لفأس تحفر الأرض وتبني الدار وتؤسس المدينة وتخلق العمل والنشاط. ويعتقد كريمر كما ذكر لنا الأستاذ فاضل عبد الواحد علي بأن جميع الأساطير السومرية الموجودة تقريباً، هي أساطير أدبية ذات طابع استفساري أي أنها تهدف الى تفسير الأسباب الكافية وراء الظواهر الطبيعية، فهي في رأيه، ليست شعيرة تتلى كما وصفت أحيانا الأسطورة خطأ، ولا بلاغة لفظية لطقوس تمثيلية، إنما هي تدور حول رؤياهم بصورة رئيسية عن خلق الكون وتنظيمه، وحول ولادة الإلهة وتصرفاتها ومؤامراتها وبركاتها ولعناتها. أما كتاب الأساطير السومرية أنفسهم فيعدون الورثة المباشرين لمغني الأزمان الأولى ومنشديها الذين كانوا يجهلون القراءة والكتابة. ويمكن أن نضيف رواية رابعة أكدية كتبت بنفس الفترة السومرية تقريباً تعود الى الملك نرام - سين حفيد سرجون الأكدي. وهي رواية تاريخية عنوانها (نرام سين في جبل الأرز) تبدأ الرواية كيف أن مدن ارمان وايبلا (تل مرديخ شمال حلب) كانت تعيش بأمان وهدوء ولم يخربها أحد منذ أقدم العصور، لكن الاله نركال فتح الطريق أمام نرام سين (حوالي ٢٢٢٤ -٢٢١٨ ق. م.) وقدم له هاتين المدينتين العامرتين وكذلك امانوس وجبال الارز والبحر الأعلى (البحر المتوسط) فاستولى نرام سين على ارمان وايبلا بسلاح الاله (دنكن) الذي رعى مملكته الواسعة وأعطاه جميع المناطق من الفرات حتى اويليسوم.

لاهذا ولاذاك .. هذا هو مدني صالح

علي المالكي

من هو مدني صالح؟هل كان أستاذا للفلسفة،أم،كان فيلسوفا عراقيا يملك منهجا ورؤية فلسفية للعالم،ونسقا تبدى عبر ما كتبه وقاله؟ هل كان من فصيلة ال (نعم)،ام،من فصيلة ال(لا) في مواقفه الفكرية والاجتماعية والسياسية،؟وهل تلخص تجربته درسا فلسفيا،يمكن تمثله، والتذاكر بشأنه بما يربي ويشيع قيما حضارية في الثقافة العراقية؟... هذه الأسئلة وسواها كانت تسابقني وانا اسعى للحصول على صورة واضحة عنه،وأعلم انها تشكل منطلقا مناسبا للقيام ببحث عن التجربة الفلسفية للمفكر الاستاذ مدني صالح، كما كانت ترافقني وانا اتردد على قسم الفلسفة في كلية الاداب، ابان ثمانينيات القرن الماضي، وبقيت معي حتى حانت لحظة تداولها،ما ان اعلن عن رحيله.ولكن اضيف اليها الان،وهذه المرة، السعي للحصول على صورة مناسبة عن النسق الفلسفي لعقل مدني بوصفه ثمرة اللوغوس الفلسفي...

لاأعلم كيف يصف احدنا،مفكرا عراقيا مثل الراحل مدني صالح،في كونه عدمياً، ويحشره مع مجموعة اخرى من المثقفين العراقيين،واصفا الحشد ايضا بالعدمية؟

أقول ان مدني صالح لم يكن عدميا،بل هوعقل كبير،وان مايحدد ويطلق الحكم عليه هو الدراسة المنهجية لآثاره في،الفسلفة،والنقد الادبي،وسواهما،أما ان امسك بالقلم فاطلق وصفا او حكما على علاته ففي هذا ظلم وتجن على الاخر.ان تخطيط صورة لمدني الناقد والفيلسوف سيكون كما كبيراً من اطاريح للماجستير والدكتوراه، عن وفي فكر هذا الاستاذ والمعلم الكبير،ولنقارن وصفه بالكاتب العدمي مع النعي الذي اصدره الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق،وباللفرق بين التوصيفين! يقول بيان الاتحاد (بصمت شبيه بإعتكافه، رحل أستاذ الفلسفة المفكر والناقد والأديب اللامع مدني صالح بعد حياة أكاديمية وإبداعية ثرة كان خلالها سيداً لكثير من النقاشات والحوارات على صفحات الجرائد والدوريات كافة، وكانت حجته دالة، وموقفه وطنياً تقدمياً، محبا لشعبه وعراقه ورموزهما الثقافية، وتربى الكثير بهديه في رحلة الدراسة والكتابة والحياة.

برحيله، تخسر الأوساط الثقافية والأكاديمية العراقية مثقفا تنويريا مرموقاً، ومفكراً عالي اللغة والمنطق والمقام، وقدوة في الاباء والرفض لإملاءات السلطان،عزاؤنا ان مدني صالح المفكر والمربي والإنسان سيظل حيا في قلوب محبيه ومريديه وأصدقائه والعاملين في الحياة الثقافية العراقية عامة.

وسيظل دائما نبراساً ومثالاً للموقف التنويري الشجاع الذي انتهجته الرموز المضيئة الكبيرة في ثقافتنا العراقية....)،.

ليس الاتحاد المؤسسة الممثلة للانتلجنسيا العراقية الوحيدة التي اثنت على التجربة الحياتية والفكرية لهذا المفكر الكبير، بل هناك الصحف والفضائيات التي رثته بما يستحقه،كمفكر عراقي قدم للثقافة العراقية نموذجا راقيا للاستاذ والمربي والمفكر.

لم يكن مدني كاتبا صحفيا فقط كما لم يكن مجرد فيلسوف آثر العزلة بل كان ما ينبغي ان يكونه كل مفكر ينتمي الى الانسانية،قولا وسلوكا،كان مفكرا تنويريا،ورمزا مضيئا من رموز الثقافة العراقية..

وبحثا وراء صورة لنسقه الفلسفي،وجدنا ان الدكتور علي عبد الهادي قد عثر على ثلاث مراحل في فكر مدني صالح،(هناك ثلاث مراحل... يمكن أن نسمي الأولى: مرحلة الكتابات الادبية؛ والتي أهمها (هذا هو السياب) و (هذا هو البياتي) و(مقامات مدني صالح) والصراعات والمساجلات الأدبية بينه وبين العديد من الادباء..والمرحلة الثانية؛... تمثلت في كتاباته: (الوجود) (ابن طفيل - قضايا ومواقف) (الغزالي وفلسفة النشوء والارتقاء) (رسالة التربيع والتدوير للجاحظ) وكتابات أخرى بين بحث ومقالة. أما المرحلة الثالثة.. والتي يمكن تسميتها بالمرحلة الاستشرافية، فتؤرخ بدايتها مع عام ١٩٩٧، والتي توجها بكتاب (ما بعد الطوفان) و(خراب الفلسفة) وكتاباته حول (فلسفة التاريخ والحضارة) ويلاحظ الدكتور علي..(إن مدني صالح في المرحلة الثالثة ظهر أكثر انسجاما مع نفسه ومع الواقع، إذ نجده قد وظف كل قراءاته وكتاباته السابقة لقراءة واقع التخلف الذي نعيشه وإشكالات النهضة ومحاولة استشراف المستقبل عبر رؤية علمية تعتمد المنهج الاستقرائي منهجا في التفكير، غير متخل في الوقت نفسه عن أسلوبه الخاص في الكتابة، والذي يميز كتاباته التي تبتعد بشكل أو بآخر عن صرامة المنهج الأكاديمي الذي يحاول كثيرا الانفلات منه)، وفي توصيف اخر لمدني صالح كتب الدكتور فوزي حامد الهيتي (عرفته قبل أن أراه وحين التقيته وصحبته عرفت انه اكبر بكثير من كل الأوصاف والمديح الذي قيل بحقه، اسمه لا يحيل إلى شخصه فقط بل هو وصف مطابق للموصوف تمام المطابقة. هو مدني ينتمي بفكره إلى كل ما هو جميل وحضاري وإنساني في الوجود ولا يذكر الناس إلا بالخير محب لكل من حوله بسيط بساطة أهل الريف وطيب طيبة ارض العراق كريما كان مثل نخل العراق).

وكتب الاستاذ الدكتور عبد الاله الصائغ عن الراحل النبيل(مدني صالح كان عراقيا بالمعنى الوطني تقدميا بالمقياس التنويري! كان والله حالما بعراق نظيف لا يتسخ بالشللية والطائفية والعنصرية والجغرافية! لقد عود طلابه وزملاءه على ترك اسئلة اللؤم الأسود من مثل من اي مدينة انت هل انت مسلم ام مسيحي! هل انت شيعي ام سني! الكبار من المفكرين لن يكونوا كبارا مالم يكونوا قدوة طيبة يقتدى بها! ومهيعا لاحبا يغدق على طارقيه! مدني لم يكن سياسيا مع انه عقل كبير وجبار ولكنه كان وطنيا ولم يكن هيتاويا مع انه ابن هيت الوفي بل كان ابنا عراقيا نجيبا! مدني صالح لو تعاشره العمر بطوله فلن تعرف مذهبه مع احترامه الشديد لكل المذاهب ولكن سنة المصلحين ان يرتفعوا عن الصغائر! فكم هو محزن اذن ان نخسر هكذا عراقيا وحلكة الليل العراقي تشتد ونباح الغوغاء والمتزيدين يملأ الرحب صخبا).

فهل بعد هذا نحتاج للتحقق اكثر من ان لدينا مفكرا تمرد على الاكاديمية الانكليزية وتقاليدها الصارمة،ولتعود ذات الاكاديمية بعد حين لتقر له بالتميز الذهني والفكري بين عقول منطقة الشرق الاوسط. ولم يخضع مدني لاية سلطة غير سلطة العقل،وسلطة التواصل الانساني مع الاخرين،بما لايخدش مشاعرهم او يؤثر على حريتهم..

حسنا لنتأمله من زاوية اخرى،كتب رباح آل جعفر واصفا الراحل(..ولم يدخر قط فلسا في حياته، ويتساوى لديه التبر والتراب، فهو يؤمن أن لكل غد شمسا وطعاما.. وكان يسخو بإفراط على الأصدقاء، فهو زاهد في حياته، متقشف في ملبسه وطعامه.. وطوال عشرين عاما لم أجد مدني صالح يتدافع على مائدة من الموائد، ولم أجده يأكل لقمة من طبق غيره، ولم أجده يتأبط أوراقه في ندوة، أو مهرجان، ولم أره يظهر على شاشات التلفزيون، ولم أسمعه يتكلم بصوت عال، حتى حين يتكلم بحماس وفخر، فان صوته يخرج خفيضا.. ومع ذلك، فان مدني صالح لم يشأ أن ينأى بنفسه عن مجتمعه، فتراه يتابع أدق التفاصيل في حياة من حوله، ويسأل عنها، لكن من دون أن يتدخل إلا حين يجد أن تدخله ينفع من دون أن يضر أحدا.

ولمدني صالح طريقة في الحضور إلى كلية الآداب لا تشبهها أية طريقة.. انه لم يأت يوما ما بأي كتاب، أو مصدر، ولا يدخل الصف إلا ويداه خاليتان من كل هذه الأشياء.. ومدني لا يتقاطع مع طلبته، ولا يبتكر المشاكل معهم، إنما يعمل باستمرار على تشجيعهم، ويمدهم بالعلامات العالية، وان كان يعرف أنهم لا يستحقونها... فهو من النوع الذي لا يسهر، ولا يثرثر، ولا يكثر الكلام، ولا يدخن، و لا يشارك في الاحتفالات، والمناسبات، ولا يحضر فرحا، ولا مجلس فاتحة، ولا يحضر مؤتمرات الثقافة ومهرجانات الشعر والأدب، وكان يعدها نوعا من التدافع على الموائد والطناجر والخواشيق، وأنا أعرف عنه أنه لم يشرب الماء طوال حياته إلا من بيته.. وفي سنوات عمره الأخيرة لم أره يوما يشرب شايا، أو قهوة، أو ماء، ولا يأكل أبدا خارج بيته.. وفي إحدى المرات دعي لمناقش أطروحة دراسية في جامعة الكوفة، وذهب صباحا، وبعد الانتهاء من المناقشة، أحضروا الموائد، لكنه امتنع عن حضورها وعاد إلى بغداد مساء من دون أن يتناول شيئا من الطعام)..

كتب عنه الدكاترة(عبد الاله الصائغ،وعبد الستار الراوي،وسيار الجميل،وفوزي حامد الهيتي،ورسول محمد رسول،وعلي عبد الهادي المرهج..)وسيكتب اخرون،وستطرح عناوين اطاريح جامعية في الماجستير والدكتوراه يكون موضوع بحثها مدني صالح،الذي برهن في تفكيره وسلوكه على مدنية راقية في السلوك والتفكير، فكان صالحا بحق ومصلحا مؤثرا في مجتمعه.(...)،ثم ماذا؟

علينا ان نتعلم الدرس والحكمة اللذين تركهما لنا هذا المفكر العراقي،النزيه،والعادل،والعاقل،والمحب..كما انه لمن المهم ان نثبت قولة المؤرخ فيه فقد كتب عنه الاستاذ الدكتور سيار الجميل،وجهة نظر تؤشر ما ذهبنا اليه من القيمة الحقيقية للراحل،كتب الاستاذ الدكتور الجميل عنه يقول (.. لقد عرفت الفقيد منذ زمن بعيد من خلال قراءتي للعديد من مقالاته في مجلة الاقلام العراقية التي صدرت في الستينيات.. ثم ازدادت معرفتي به مذ قرأت له بعضا من كتبه وبعضها الاخر اطلعت على بعض فصوله.. لقد توغل مدني صالح في مضامين فلسفية متنوعة، واجاد في عرض مفاهيمها، لكنه لم يختص بمنهج فلسفي او نظرية فلسفية محددة.. كنت اجده ينعي على العالم خراب الفلسفة مستذكرا فيها الفهم القاصر لمفاهيم الثقافة والمدنية والحضارة.. وما اعتور التفكير المعاصر من الخلط والارباك، فهو يرى الثقافة مجرد حيازة اعلامية بينما الحضارة حيازة تنظيمية وسياسة وتشريع واخلاقيات.